المنهج النبوي في التربية والتعليم (1 / 10)

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 27 مايو 2017

بقلم: د. زكريا خنجي

كمسلمين لسنا مخيرين أن نتعلم أو لا، فالعملية التعليمية التعلمية فرض فرضه اللّه سبحانه وتعالى منذ أول آية نزلت من القرآن الكريم (اقرأ)، هذه الآية تشير بوضوح إلى فرضية العملية التعليمية التعلمية على كل مسلم أيًا ما كان جنسه، سواء كان ذكرًا أو أنثى.

والتعليم في اللغة هو من الفعل علّم، وعلّمه الشيء تعليمًا فتعلّم، ومنه قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الاسماءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسماءِ هؤلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) سورة البقرة – الآية 31.

أما اصطلاحًا هو عبارة عن العملية المنُظمة التي يُمارسها المُعلم بهدف نقل ما في ذهنه من معارف ومعلومات إلى المتعلمين والذين يكونون بحاجة إلى هذه المعارف. ويُعرف التعليم أيضًا بأنه عملية تغيير وتعديل في السلوك الثابت نسبيًا والناتج عن التدريب؛ حيث يحصل المتعلمون من التعليم على معلومات أو مهارات من شأنها تغيير سلوكهم أو تعديله للأفضل، ويمارس

بطريقة تحترم النمو العقلي للمتعلمين وقدرتهم على الحُكم المستقل وبهدف المعرفة والفهم.

كما وأن التعليم يُعد عملية منظمة يتم من خلالها إكساب المتعلم الأسس البنائية العامة للمعرفة بطريقة مقصودة ومنظمة ومحددة الأهداف. وبظهور المدنية وتطورها، أنشئت المدارس أو ما يعرف بالتعليم النظامي الذي يطلق عليه في مجتمعاتنا العربية لفظ «التربية والتعليم» والتي تتفق تماماً مع أصول التركيب اللغوي للترجمة الإنجليزية (Education) بمعنى الإنماء والرعاية.

بالإضافة إلى أن التعليم فطرة فطرها اللّه سبحانه وتعالى على جميع الكائنات الحية، فهي تتعلم أنماطا سلوكية خاصة بفطرة بقائها على قيد الحياة؛ مثل آليات وعمليات التغذية، آليات الخوف والدفاع عن النفس وما إلى ذلك، وتحدث هذه النوعيات من التعلم غالباً بما يعرف بالمحاكاة أو التلقين، ولكنها تزداد تعقيداً كلما ازداد الكائن رُقياً.

ولقد اهتمت معظم الحضارات بالعملية التعليمية التعلمية بصورة أو بأخرى، فتشير المصادر التاريخية إلى ظهور ما يمكن معرفته بالمدارس في مصر الفرعونية في عهد الدولة الوسطى، وكذلك في اليونان حيث قام أفلاطون بتأسيس مدرسته في أثينا، وفي الصين وضع كونفيشيوس مذهباً في التعليم انتشر في

مناطق الشرق الأقصى، وأما الحضارة الإسلامية فقد اهتمت بالعملية التعليمية التعلمية بصورة كبيرة حيث جعلت التعليم جزءا أصيلا من الشريعة الإسلامية، وتروي كتب السيرة مدى اهتمام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بهذه العملية، حيث نجد أنه صلى اللّه عليه وسلم فرض على أسرى بدر من الذين لا يملكون ما يفتدون به أنفسهم أن يقوموا بتعليم 10 من صبية المسلمين، وفي حديث مرفوع ذكره ابن ماجه في سننه عن عبداللّه بن عمرو، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللّهَ، وَالأُخْرَى يَتَعَلّمُونَ وَيُعَلّمُونَ، فَقَالَ النّبِيٌّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللّهَ، فإن شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلاءِ يَتَعَلّمُون ويعلمون، وَإِنّمَا بُعِثْتُ مُعَلّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ».

وفي الحديث النبوي الذي رواه الترمذي في سننه عن ابي امامة رضي اللّه عنه قال: «ذُكِرَ لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رجلان أحدهما عالم والآخر عابد، فقال: رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «إن اللّه وملائكته وأهل أرضيه يصلون على معلم الناس الخير».

بهذه العقلية حمل المسلمون مشعل العلم والتعليم 8 قرون، فلم ينقلوا العلم من الحضارات القديمة إلى العصر الحديث فحسب

وإنما قاموا بتطوير كل ما جاءهم وأخذوا من الحضارات السابقة وخلصوها من الأساطير والخرافات ليسلموها سليمة نقية للحضارة الحديثة، وأما في العصور الحديثة أصبح التعليم لا غنىً عنه لأيّ فرد لمواكبة الحياة والتطوّر والقدرة على الاندماج في المجتمع.

ولنواصل الحديث في الغد،،